زراعة القطن فى وادى النيل (١)

يزرع القطن فى جميع البلاد التى يمر النيل بها ويقدر ما تنتجه تلك البلاد وهى مصر والسودان وأوغندا والحبشة بنحو احد عشر مليوناً من القناطير ، واذا أضفنا نحو نصف مليون قنطاراً مقدار ما تنتجه البلاد المتاخمة مثل الكنغو البلجيكى وكينيا والصومال الطليانى والارتيريا — وهى البلاد المكونة لأفريقيا الشرقية والشمال الشرقى كان الناتج نحو ١١ر٥٠٠ر٠٠٠ — حصة مصر فيها نحو تسعة ملايين قنطار هذا العام والباقى وقدره مليونان ونصف تخرجه البلاد الأخرى ، وتنتج أوغندا ٢٦٠ر٠٠٠ بالة أى ١ر٣٠٠ر٠٠٠ قنطار باعتبار وزن البالة فى هذه الاصقاع ٥٠٠ رطلا وكلها من النوع الامريكانى .

أما السودان فمحصوله ٧٠٠ر٠٠٠ قنطار — منها ٦٥٠ر٠٠٠ من القطن السكلاريدس المصرى .

وفى أوغندا يزرع القطن فى مساحات صغيرة مبعثرة على التلال والنبات والاحراش الخ . ومن الغريب ان مجموعها ينتج هذا المقدار الكبير ولقد سحت فى المنطقة القطنية الأكثر أهمية وزرت حقل التجارب فى بوكالاسا الذى لا يبعد كثيراً عن بحيرة كيوما وهناك يشتغل الاخصائيون فى تحسين صفات القطن — أما مستمرة كينيا فيظهر انها تجد من زراعة البن والشاى والحاصلات الزراعية الأخرى أحسن مورداً من القطن ، وكذلك الحبشة فان انتاجها قليل . ولا تزال زراعة القطن عند بدئها فى الصومال الطليانى عند جنبالى والجوى على نهر الوبى شبالى وكذلك فى الارتريا عند تسينايا على نهر الجاش .

---

(١) محاضرة لحضرة فؤاد بك أباظه مدير الجمعية الزراعية الملكية ألقاها بالنادى الزراعى مساء يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٣٤ وسبق أن قدم ملخصاً عن هذا الموضوع للجنة القطن الدولية المشتركة المنعقدة فى القاهرة يومى ١٧ و ١٨ فبراير سنة ١٩٣٤

أما السودان المصرى الانجليزى ففيه حركة كبيرة فى أرض الجزيرة على النيل الأزرق وفى كسلا على دلتا نهر الجاش وفى طوكر على حوض نهر بركة — وكل هذه المناطق الثلاثة تزرع القطن السكلاريدس وما بقى من السودان يزرع القطن الامريكى

ويزرع قطن طوكر وكسلا على طريقة رى الحياض بعد فيضان بركة والجاش اللذين لا يتصلان بالبحر بل تفيض مياهما الغزيرة فى الفلاة وتكون زراعة القطن عقب الفيضان .

وينبع نهر الجاش فى الحبشة مارا بالاريتريا وقد أقامت عليه الحكومة الايطالية قناطر عند مزرعة تسينايا ثم يمر بكسلا وهناك حفرت ترع رئيسية لتأخذ ماء الفيضان منه ويتفرع منها مساقى كثيرة .

وفى سنة ١٩١١ شرفنى جلالة مليكنا المحبوب وبالاتفاق مع عظمة المرحوم السلطان حسين كامل ابى الفلاح مؤسس الجمعية الزراعية ورئيسها الأول لزيارة الصومال الطليانى لبحث امكان زراعة القطن هناك على جوانب مجرى نهر الوبى شبالى ، وعند عودتى من هذه الرحلة زرت الاريتريا والسودان وكانت اقامة سدود على نهر الوبى شبالى ونهر الجاش والنيل الازرق مشروعات وافكارا وأمانى .

أما فى رحلتى الأخيرة فى يناير وفبراير سنة ١٩٣٤ فقد رأيت ان تلك المشاريع قد حققت بالفعل وزاد عليها جبل الأولياء الذى رأيت العمل فيه قائم على قدم وساق ، كما رأيت تعلية اصوان قد تمت .

ليس من شأن هذه المذكرة بحث المشروعات الكبرى على النيل من أقامة قناطر وسدود وخزانات ولكن لامناص من الاشارة اليها لما لها من العلاقة المباشرة للصرف فى مياه النيل لانتاج مقادير جديدة من القطن للعالم .

فبأقامة خزان سنار على النيل الازرق (وكان مسمى خزان مكوار) خلقت مساحة جديدة فى الجزيرة مقدارها ٣٠٠،٠٠٠ فدان . زرع منها ٨٠،٠٠٠ قطنا فى سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ بعد افتتاح الخزان و١٠٠،٠٠٠ فدانا فى موسم ١٩٢٦ — ١٩٢٧

وقد زيدت هـذه المساحات على التوالى حتى بلغت الآن ٧٥٠٫٠٠٠ فدانا — منها ١٨٠٫٠٠٠ فداناتزرع قطناً هـذا العام أى نحو ربع المساحة الجارى ريها والتى ينتظر أن تنتج نصف مليون قنطار . أما مساحة الجزيرة نفسها فتبلغ أربعة ملايين من الفدادين أو أكثر ، وتأمل حكومة السودان أن تزرع منها ثلاثة ملايين فى النهاية وهى المساحة التى يمكن وصول المياه اليها من الترعة التى حفرت بموازاة النيل الأزرق والتى تأخذ المياه مباشرة من خزان سنار ، ولـكن زيادة الأراضى التى تزرع وزيادة مناسيب المياه التى تؤخـذ خاضعة لاتفاقات ومراقبة من الحـكومة المصرية ولها علاقة مباشرة بكميات المياه التى تخزن من تعلية خزان اسوان وأقامة خزان جبل الأولياء وما يتلوهما من مشروعات الرى الـكبرى فى بحيرة البرت نيانزا وشق مجرى النيل فى منطقة السدود ومشروع أقامة سد فى بحيرة تسانا فى الحبشة وما قد يقام على فيكتوريا نيانزا نفسها فى أوغندا .

لم يمكنى ضيق الوقت من زيارة بحيرة تسـانا مع أن الحـكومة الحبشية تفضلت بالموافقة على وضع أحدى طياراتها تحت تصرفى لتنقلاتى فى الحبشة ولم اتمكن من الانتفاع بهذا الغرض الثمين لأنى كنت مرتبطاً بمقابلة لجنة القطن الدولية يوم ٤ فبراير ببور سودان لأقوم بزيارتى للسودان مع حضرات أعضـاء اللجنة ولما لم تحضر اللجنة وعدلت عن المجىء قمت بالرحلة وحدى مع أسفى وأسف الجهات المختصة بالسودان التى رحبت كثيرا بتلك الزيارة — ومن واجبى أن أقرر مع السرور أن جميع التسهيلات لقيامى بهذه الزيارة ووقوفى على دخائل ما يجرى هناك من التصرف فى المياه الخ وزراعة القطن قد قدمت الىّ على أحسن وجه مرضى . واضيف على ذلك ان الرجال الاداريين والفنيين فى منطقة الجزيرة والجاش كشفوا لى عن مصاعبهم عن طيب خاطر وكما ان فى زراعة القطن عندنا مصاعب وآفات وأمراض فعندهم قسطهم منها .

ويظهر ان أحسن قطن السودان هذا العام هو ما تخرجه دلتا نهر الجاش ويأتى بعده قطن الجزيرة ، أما قطن طوكر فقد علمت انه مصاب أصابة كبيرة بمرض التواء الورق وكلها منزرعة سكلاريدس .

أما الأشموني والأقطان المصرية الأخرى فلم تفلح زراعتها فى السودان. ودل القطن الامريكى على صلاحية زراعته فى باقى أقطار السودان سواء على المطر أو بالرى، ولكنه فى الوقت نفسه يصاب بالآفات أصابات خطيرة عند زراعته فى الجزيرة .

وينتظر أن ينتج الفدان من السكلاريدس فى أرض الجزيرة ٢٫٧٥ قنطارا فى المتوسط فى مساحة قدرها ١٨٠٫٠٠٠ فدان كما أسلفنا أو نحو نصف مليون قنطاراً بالتقريب وكذلك مائة الف قنطار أو تزيد فى منطقة الجاش ومائة الف قنطار أخرى من طوكو وباقى السودان .

وهناك أراء متضاربة عن مستقبل أرض الجزيرة وعن المصاعب التى تعترض زراعة القطن فيها مرض «البلاك أرم (Black Arm) ومرض التواء الأوراق (Leaf Curl)» وهما أشدها خطورة ويلى ذلك دودة اللوز المصرية والسودانية ودودة اللوز الحمراء ثم الشلل والسوس والحشرة المسماة تريس.

وقد عثر الفنيون على نبات من السكلاريدس فيه مناعة ضد مرض التواء الأوراق أسموه أكس ١٥٣٠ وسيزرع منه ١٠٫٠٠٠ فداناً فى الموسم القادم وينتظر أن تزرع الجزيرة كلها منه فى عام سنة ١٩٣٥ .

وقد يتوقف على نجاح هذا القطن الجديد انتعاش الأمال بزيادة متوسط محصول الفدان فى الجزيرة كلها من نصف قنطار إلى قنطار .

ويلاحظ أن مرض البلاك أرم موجود فى مصر و (ترجمته الحرفية الزراع الأسود إذ أن الفروع واللوزات المصابة فى أنسجتها تسود ثم تنشف ويتعطل نبات القطن عن النمو والانتاج) .

ولحسن الحظ ليس فى مصر أمطار كثيرة كأمطار السودان يساعد أنتشاره ولكن ذلك لا يمنع أن نراقب سير هذا المرض بكل أنتباه خشية ما لا تحمد عقباه والأمطار فى السودان تنزل بكثرة وغزارة عادة فى يوليو واغسطس وهو وقت زراعة

القطن فى السودان، فتنتشر الأمراض بمساعدة المطر والرطوبة ويقال أن تفريق الأرض بعد تقليع القطن بآلة خاصة فى شهر مايو تفيد فى قتل المرض وجارى عمل تجارب على ذلك .

ويزرع القطن بالجزيرة الآن فى ربع الأرض المنزرعة بدلا من الدورة الثلاثية لتفادى أضرار الحشرات والأمراض الفطرية الخ .

وتظهر الاملاح فى بعض البقاع وعلى جوانب الترع فتشق مصارف سطحية لتصريفها أما شق المصارف كما نعرفه بمصر فلا ينفع فى الجزيرة ذلك لان أرضها طينية ثقيلة لا تتشرب مياهها بسهولة ولذلك لا تنفذ منها المياه للمصارف .

على أن جميع هذه المصاعب يشتغل فى مقاومتها رجال قديرون من مصلحة الزراعة ونقابة زراعة القطن بالسودان من فنيين واداريين ، وقد اعجبت بالمباحث القيمة المنتجة فى غيط تجارب الجزيرة فى واد مدنى وغيط شمباط فى الخرطوم بحرى وهناك نقط تجارب ومشاهدات أخرى فى أنحاء الجزيرة .

وفى دلتا الجاش غيط تجارب قريب من بلدة أروما ، ورأيت فيه مساحة صغيرة منزرعة من القطن الجديد «أكس ١٥٣٠» وانه ليلذ للناظر أن يرى مساحة شاسعة من القطن فى دلتا الجاش تبلغ آلافاً من الفدادين عليها ثوب الصحة والنضارة خالية من الآفات والامراض . لويزاتها ما بين مفتحة وخضراء سليمة حتى القمة من أعلى النبات .

ويلاحظ أن زرع القطن فى السودان وأوغندا والصومال والاريتريا يبدأ فى شهر يوليو ويبدأ الجمع فى شهر ديسمبر رويدا رويدا حتى شهر مايو وفى بعض الجهات يمر الجماعون كل اسبوع لالتقاط كل ما يتفتح . وهذه الطريقة تعطى قطناً نظيفاً متجانس الدرجة كما انه لا يزرع فى كسلا وطوكر والجزيرة إلا صنف واحد هو السكلاريدس وليس هناك ما نعهده فى مصر من خلط رتب القطن بعضها ببعض لتوليف ما نسميه (Type) تيب ، وانى أهنئ مصلحة الزراعة بالسودان لما أصدرته من القوانين واللوائح لمقاومة بزور التقاوى ومنع خلط أنواع الاقطان ببعضها فى المحالج والمكابس كما قد يحصل أحياناً عندنا فى مصر كخلط السكلاريدس بالبليون أو الفؤادى أو الجيزة ٧ أو غيرها فى غرفة الفرفرة بالمكابس .

وقد يتسائل أخواننا الغزالون فى لجنة القطن الدولية الممثلة لانجلترا وفرنسا وايطاليا والمانيا وسويسرا وتشيكوسلوفاكيا الخ ماذا عملت الحكومة المصرية فى القرار الاجماعى الذى أصدره مؤتمر القطن الدولى فى مصر سنة ١٩٢٧ لمنع خلط أنواع القطن بعضها ببعض فى مكابس ميناء التصدير وجوابنا — هو بعينه ما اعلناه فى مؤتمر برشلونة فى سنة ١٩٢٩ ومؤتمر باريس سنة ١٩٣١ ومؤتمر براج سنة ١٩٣٣ — اننا غير قادرين على أصداره بسبب هـذا النظام الممقوت المسمى امتيازات الذى لا تزال مصر مثقلة بحديده وأغلاله ولعلنا نتمكن قبل مؤتمر نابلى أو روما سنة ١٩٣٥ من فكها واصدار هذا القانون الذى طلب تشريعـه ممثلو الدول الأجنبية فى مؤتمرات القطن الدولية باجماعهم واجماع الممثلين المصريين من الزراع .

لقد وصلت صباح اليوم من رحلتى لادرك أول انعقاد للجنة القطن الدوليـة المصريه المشتركة فى القاهرة وتمكنت من تجهيز هـذه المذكرة المختصرة على وجـه السرعة والتى آمل ان أكون قد نجحت فى تصوير زراعة القطن فى وادى النيل وأنى مستعد للأجابة على كل ما يقدم لى من الأسئلة والاستعلامات .

وأنى مدين لأصحاب السعادة حكام السودان وأوغندا وكينيا والصومال الطليانى والارتريا والذين كان لى السرور بمقابلتهم جميعاً (عدا سعادة حاكم كينيا) وحضرات رجالهم المزارعين والفنيين والاداريين الذين تفضلوا بتسهيل مأموريتى على وجه مرضى .

وقبل أن أختم كلمتى ابادر بالقول بان العناية تامة باعطاء مصر ما يلزمها من مياه الرى واستعمال ما يزيد عن احتياجاتها فى رى وزراعة أراضى أخواننا السودانيين ولـكن الأحوال فى الوقت الحاضر من الوجهة الاقتصادية والتجارية البحتة ليست على ما يرام، بل يلزم زيادة التعاون والتآزر الزراعى والتجارى . أما كيف يكون ذلك فمن الوجهة الاقتصادية البحتة فان ذلك على حسب تخيلى الضعيف فليس من الصعوبة بمكان أما من الوجهة السياسية فليس من شأن هذه المذكرة

فؤاد اباظه

مدير الجمعية الزراعية الملكية